مقدمة المؤلف

كانت هجمات الحادى عشر من سبتمبر الإرهابية صدمة قوية للعالم بأسره، وكان الهجوم جبانًا ووحشيّا، وقتل ما يقرب من ٣٠٠٠ ضحية كانوا يعتقدون أنهم يذهبون إلى أعمالهم فى أمان ودون أدنى خوف على حياتهم، والتفت شعوب الأرض فى فزع وتعاطف عميق حول الشعب الأمريكى وحكومته، وأعلنت شعوب العالم تضامنها فى الحرب ضد الإرهاب الدولى، إلا أن الاستنتاجات التى استخلصتها الحكومة الأمريكية من الهجمات صدمت العالم أيضًا، فعلى الرغم من ادعائها قلة المعلومات حول توقع هجمات إرهابية، إلا أنها سارعت بنشر أسماء الجناة والدول التى أرسلتهم .

بسرعة البرق ذُكر أسامة بن لادن فى أفغانستان وتنظيمه الإرهابى العالمى المسمى بتنظيم القاعدة كمنظم مسئول عن الهجمات، يضاف إلى ذلك ديكتاتور العراق صدام حسين الذى ذكر اسمه كممول ومدعم للقاعدة، وفى الواقع لا توجد أدلة دامغة، إلا أنه فى غضون عدة أيام تم إعلان «حرب عالمية» يمكن أن تستمر لسنوات ضد عدد من الدول يصل إلى ٦٠ دولة مشجعة وداعمة للإرهاب(١) .

لكنه بدا سريعًا - فى أغلب الظن - أن الإدارة فى واشنطن كانت تعلم قبل الأحداث بفترة طويلة أكثر مما كانت تدعيه، **واتضح على وجه الخصوص أن الحرب على كل من أفغانستان والعراق قد تم التخطيط لها ووضعها فى الحسبان قبل ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، حيث كان الحديث عن نظام جديد لمنطقة الشرق الأوسط، يجب تنفيذه بالقوة، ويجب أن يجبر العالم الإسلامى على الديموقراطية بالحديد والنار. ولكن الخطط التى ناقشها ودونها مسئولون كبار فى الإدارة الأمريكية فى ذلك الوقت لم تهتم كثيرا بانعدام الديموقراطية فى الشرق الأوسط، فهى تهدف**

إلى تأمين الهيمنة الأمريكية على العالم لمدة قرن من الزمان، ووقف زحف كل من الصين والهند التي يتجاوز عدد سكان كل منهما مليارًا من البشر، ومنع صعود القوى المضادة والمنافسة في القارة الأوروبية، وأخيرًا الاستيلاء على مستودعات النفط والمواد الخام ذات الأهمية الاستراتيجية، تلك المواد الخام المتناقصة باستمرار، وما يرتبط بذلك من قوة مادية. واستغلت إدارة بوش أحداث الحادي عشر من سبتمبر ـ دون أن تتردد لحظة واحدة ـ كي تنفذ السياسة المخططة مسبقًا في تيار الحرب ضد الإرهاب الدولي وأن تجد لخططها مسوغًا.

استطاع منفذو هجمات ١١ سبتمبر أن يخدعوا الإدارة المدنية والعسكرية للولايات المتحدة الأمريكية بلا أدنى مشقة، وأن يعطلوا عمل الإجراءات المضادة لمدة ساعتين كاملتين، فأن يستولوا في بحر ساعتين على أربع طائرات مدنية عملاقة، وأن يوجهوا الطائرات نحو أهدافها بدقة متناهية، مع إمكانيات قيادة ضعيفة وسرعة عالية، فإن ذلك أبعد من المنطق وأقرب إلى السحر والشعوذة، ولم يصدق المراقبون أعينهم وهم يراقبون الأحداث حية على شاشات المراقبة.

بمرور الأسابيع والشهور، تلاشت الشكوك التي أثيرت في البداية ضد البيانات الرسمية للحكومة أمام الرسالة المتكررة يوميًا عن التسعة عشر مجرمًا ومعظمهم من السعوديين، وارتباطهم بالتنظيم الإرهابي الدولي المسمى بالقاعدة تحت قيادة أسامة بن لادن في دولة أفغانستان التي تحكمها حركة طالبان، وفي هذه الأثناء ظهرت سلسلة جديدة من الأحداث المرعبة والمؤامرات لتؤكد الصورة.

لم يتم توضيح وتفسير الحدث الحقيقي ليوم ١١ سبتمبر، لا قبل الحدث ولا بعده، فلا يوجد أمام الحكومة الأمريكية تقرير رسمي لتقصي الحقائق، لا نهائي ولا حتى مؤقت، هناك الكثير جدًا من التفصيلات غير المؤكدة والتي لم تفحص بقدر كاف، أو لا يمكن تنظيمها لتشكل صورة كاملة إلا بصعوبة بالغة، فقد فشلت فكرة تعيين لجنة برلمانية لتقصي الحقائق أمام معارضة الحكومة الأمريكية، فلم يسمح إلا للجان جهاز المخابرات التابعة للكونجرس الأمريكي بدراسة الموضوع، والنواب الذين اتهموا بنقل أخبار عن عمل اللجان إلى الرأي العام، تلقوا تهديدات من الإدارة الأمريكية باختبار صحة أقوالهم عن طريق أجهزة كشف

الكذب، وأما اللجنة الرسمية لدراسة الأحداث والتى اقترح بعضهم تشكيلها فى البداية، فقد اصطدمت بحيرة وارتباك «هنرى كيسنجر ـ Henry Kissinger» المكلف برئاسة اللجنة، ومستشار الأمن القومى السابق للرئيس« نيكسون ـ Nixon» .

تتكشف باستمرار الأقوال المتناقضة لوجهة النظر الأمريكية الرسمية، ولكن الحكومة الأمريكية لا تهتم حتى يومنا هذا بتوضيح كامل للموقف، فوسائل الإعلام فى الولايات المتحدة الأمريكية - والمملوكة لعدد قليل من الشركات الكبرى - يبدو أنها قد رتبت الأوراق فيما بينها، ويبدو أنه ليس لديها اهتمام كبير أن تطرح أسئلة أساسية وجوهرية .

إضافة إلى ذلك، تم فى هذه الأثناء استبعاد جزء كبير من الأدلة التى كان يمكن أن تؤدى إلى توضيح دقيق للأحداث، توضيح يستند إلى خبرة ويقوم به أهل الاختصاص، حيث أدت قائمة التناقضات إلى الشك فى العرض الرسمى بوجود مؤامرة إسلامية .

من يتتبع ممارسات جهاز المخابرات الأمريكى، والإسرائيلى أيضًا، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، أى لفترة تربو عن الستة عقود، لا بد أن يتوقع عمليات سرية للمخابرات كوسيلة للحرب النفسية للتأثير على الجماهير، وإذا نظرنا إلى الأمر برمته من هذه الزاوية، فإنه يتضح أن الكثير من أجزاء الصورة لا تتلاءم مع الصورة التى رسمتها حكومة بوش، والتى تقسم على صحتها، وذلك بوجود عمل إسلامى انتحارى، **ولكن الصورة تتضح أكثر، وذلك عندما نتخيل صورتين وليس صورة واحدة: صورة جريمة أساسية، وصورة عمل مختلق موضوع فى مسرح الأحداث لصرف الأنظار، وتتم تغطية آثار المجرمين الحقيقيين عن طريق وضع آثار مضللة تم رسمها ببراعة .**

لعله من المخاطرة أن نطلب توضيحًا لأحداث الحادى عشر من سبتمبر وما قبلها بكل التفصيلات دون مساعدة من الأجهزة الضخمة، مثل مكتب التحقيقات الفيدرالى، ووكالة المخابرات الأمريكية أو الموساد، ولكن الشكوك فى الصياغة الرسمية تكفى لرفض الطريقة الأمريكية لعرض الأحداث، وما يترتب على ذلك

obeikan.com

سياسيّا وعسكريّا فى حالة الانقياد للاستراتيجية الأمريكية للقيام بحرب عالمية، فهذه الاستراتيجية تخاطر ليس فقط بمستقبل الديموقراطية وسيادة الدول والسلام العالمى، بل إنها تنذر باندلاع حروب وقائية من جانب الجهاز العسكرى الأمريكى المتغطرس، بل وتهدد بإلغاء دور الأمم المتحدة كعنصر تسوية للنزاعات بين الدول، كما تهدد أيضًا بالقضاء على القانون الدولى الذى تطور على مدى عقود، بل قرون من الزمن .

فى الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، انفتحت بسرعة البرق نار موقدة على مجموعة من الناس لا حول لهم ولا قوة، ولا حماية من بلدهم، وتم تبرير ذلك العمل بوجود إرهابيين مسلمين، تدربت قياداتهم سواء كانت طالبان أو أسامة بن لادن أو القاعدة على أيدى القوات الأمريكية، وتم استئجارهم فى الحرب الخفية لجهاز المخابرات الأمريكية ضد القوات السوفييتية فى أفغانستان، وقد ساعدت تجارة المخدرات فى التمويل، وليس من المؤكد إذا كان جهاز المخابرات الأمريكية قد انفصل كلية عن هذه الفصائل أو أنه ما زال يستفيد منها فى مشروعاته المنتشرة بطول العالم وعرضه!، ومن هنا فقد كانت أحداث ١١ سبتمبر دافعًا قويّا للحديث عن الأنشطة الإرهابية عالية المستوى، خصوصًا لجهاز المخابرات الأمريكى فى كل الدول المهمة فى العالم، بما فى ذلك الاستغلال الوقح لتجارة المخدرات لخدمة أغراض استخباراتية فى كل أجزاء الأرض .

لقد عمل المؤسسون على توفير ميزة مهمة لجهاز المخابرات الأمريكى: وهى أنه يجب أن يكون أفضل من جهاز كى جى بى (جهاز المخابرات السوفييتى).

يوجد بالفعل ديموقراطيون شجعان فى الولايات المتحدة وفى أوروبا وفى كل مكان، وهؤلاء يمكن ويجب أن يعملوا سويّا من أجل التغيير للأفضل، فليس هناك نقد للعمليات السرية لسياسة الولايات المتحدة الخارجية أشد ولا أعنف من ذلك الموجود فى الولايات المتحدة نفسها، ولكن لأن وسائل الإعلام الأمريكية تحجم الموضوع، وتضعه بين علامات تنصيص، وتسلم قيادها لتكتيك الحكومة من أجل التمويه وطمس الحقائق، لأجل ذلك لم تتكون حركة معارضة تتحدى

obeikan.com

سياسة الحكومة، ومع هذا لم يكن ليكتب لهذا الكتاب الظهور لولا مساندة الكثير من الأمريكيين الذين لم تستطع سكرة عصبية حب الوطن أن تسلبهم نظرتهم الناقدة، وقبل كل ذلك كان لديهم استعداد للنضال من أجل حمل راية القيم، وراية الدستور الأمريكى، ضد مضاربات السياسة ووسائل الإعلام .

إنها أقلية قوية ذكية وشجاعة، يبدو أن عنادها وإخلاصها كفيلان بتكوين أغلبية يمكن أن توقف التهديد بتقويض الديموقراطية الأمريكية، وتعيد توجيه الجمهورية نحو سياسة أكثر مسالمة للآخرين، وليس فى استطاعة الحكومة ـ حتى الآن ـ أن تقاوم مساهمات هذه الأقلية على صفحات الإنترنت إلا عن طريق تكثيف طقوس دعايتها اليومية الموجهة .

يستند هذا الكتاب على معلومات عرضتها بشكل أكثر تنظيمًا فى كتابى السابق بعنوان «باسم الدولة»، والمصادر المستخدمة فى هذا الكتاب أيضًا تكاد تكون فقط مصادر أمريكية، فقد كان الغضب الأخلاقى من حرب ڤيتنام فى الولايات المتحدة نفسها هو الذى كشف العديد من العمليات السرية لجهاز المخابرات الأمريكية، وكشف قائمة بأسماء زعماء حركات التحرير الذين اغتالهم جهاز المخابرات الأمريكية، وقائمة بالانقلابات العسكرية فى دول العالم الثالث التى ساندها سرًّا، وممارسته لتجارة المخدرات التى تعتبر مصدر تمويل لا ينضب، والدعاية الكاذبة التى يمارسها من خلال وكالات الأنباء وإدارات تحرير الصحف، والمنابر الجامعية والثقافية، ولكن سرعان ما أسدل الستار من جديد .

الإنسانية تحتاج إلى أمريكا القديمة المثالية، بلد الحرية، والبلد الواعدة للمليارات من البشر، البلد التى صنعت لها فرنسا تمثال الحرية امتنانًا لها؛ لأنها أظهرت للعالم ـ قبل الثورة الفرنسية ـ كيف يعيش الناس فى وعى واعتزاز حياة ديموقراطية كريمة، تحميها الحقوق المدنية للمواطنين، مثل حرية الرأى، وتداول السلطة، دون احتياج إلى الأنظمة الإقطاعية والاستعمارية .

نحن الأوروبيون ما زلنا نذكر بالعرفان الدور الأمريكى بعد انهيار النازية والفاشية، ولكن أمريكا يجب ألا تحذو حذو أوروبا التى أرادت شعوبها ـ فى حروب دامية ـ أن تبنى إمبراطوريات عالمية على قاعدة صغيرة، وأخيرًا تحطمت

كلها بما فى ذلك بريطانيا العظمى، ولم تبق إلا قوة عالمية وحيدة يزداد نفوذها فى حربها من أجل تحقيق السيادة فى هذا القرن الجديد، هذه القوة هى أمريكا التى تتوفر لها شروط الانطلاق بصورة أفضل مما أتيح للأوروپيين، ولكن الولايات المتحدة ستصطدم بالضحايا الذين ستطلبهم تلك السياسة، وسيكون ذلك سبباً فى فشلها .

أندرياس ڤون بولوف

بون فى يونيو ٢٠٠٣م

obeikan.com